الايام الثلاثة الاولى بالكويت

ما كادت تصل سيارات البعثة المصرية أبواب الكويت حتى استقبلها رجل مصر البار وهمزة الوصل بينها وبين حكومة الكويت سعادة مدير التعليم الأستاذ (طه بك السويفى) ومعه رهط من السيارات الأنيقة تحمل بعض رجالات الكويت فكانت هذه تحية طيبة أزالت رقتها من أجسامنا وعثاء السفر بين البصرة والكويت بالسيارات ، وتلك شخصية مدير المالية تلفت النظر لأول وهلة لنشاطها الملحوظ. فقد أبى كرمه إلا أن يصحب البعثة ويوفر لكل عضو راحته وسكنه ، وها هى سيارة سعادة مدير المعارف طه بك تحملنى وأربعة من زملائى المدرسين إلى منزل المدير العامر . فكنا بهذه الضيافة الكريمة أسعد حظا من زملائنا الآخرين لأننا لم نصدم بما يصدم به الغريب فى الساعات الأولى لنزوله بلداً لم تطرقه من قبل قدماه ، منزل رحب كرحابة صدر الضيف الكريم وعطف ملحوظ فى كل أمور الضيافة فاض به قلب الأبوة حين احتضنت البنوة بعد غيبة طويلة وشوق حار .

وكان سعادة المدير عربيا فى ضيافته فقد استغرقت الضيافة أياماً ثلاثة ذقنا فى خلالها كل ما حوت الكويت من ألوان الأكل والشراب ، وكان لهذا ضرره البليغ حين انتقلنا فى اليوم الرابع إلى مسكننا الخاص أعلى المدرسة ، لأننا فى هذا اليوم بدأنا نعرف أثمان الأشياء الباهظة وبدأنا نعرف أيضا كم يتكلف الكريم حين تجود يده ، وعرفنا أيضا مبلغ ثقلنا فى تلك الأيام الثلاثة لاعلى رب الدار فما يحسب هو لهذا حسابا وإنما هو محض شعور منا نحن ، وهل يفوتنى قبل أن أترك الدار العامرة التى احتضنتنا وقبلتنا تحية الوصول ، هل يفوتنى أن أذكر تلك الجلسات العربية على الحشايا فى الفضاء الواقع أمام الحجرات . فهذا هو الأستاذ « يحيى أبو حمده » بجلبابه الأبيض الرقيق الذى يظهر من تحته بعض ما يستر به جسمه من الداخل ، هاهو ذا يلقى بجسمه الطويل المديد على الحشية فلا تكاد الحشية تظهر من تحته ثم يدور الحديث عذبا كالرحيق ، أو كالطير الصداح ينتقل بين الزهور فى الصباح الباكر فى نشوة الندى .

والحديث بين الشباب لا يسير مستقيما بل هو كالترمومتر يرتفع فجأة من ضحكات الشباب القوى ومن السرور المتدفق من قلوبهم الفتية الضاحكة .

ثم يأبى الضيف الكريم إلا أن يكون مرنا فى ضيافته وكرمه فيتنزل قليلا ويشاركنا فى سرورنا ، أو قل إنها الشيخوخة الشابة تود لو ترقب عهد الشباب من بعد لتعيد إلى الذاكرة عهداً ذهبيا يتمنى كل إنسان أن يعود إليه .

وكان ليوم الضيافة قصة وأية قصة !! فقد تركنا منزل الضيافة صباحا إلى العمل لنعود إليه ظهراً لنتناول آخر وجبة من وجبات الضيافة أو بعبارة أخرى لنودع الكرم فى أكمل صفاته وأروع صوره أو لنودع عهداً ذهبيا إلى عهد عله عند علام الغيوب أو لنودع الرقة والوداعة والعطف الأبوى إلى حين .

قلت إن هذا كان ما اتفقنا عليه ولا أكتم على القراء الكرام أية صدمة نفسية ولوعة حطمت آمال الأستاذ « حامد » زميلنا الذى كان يود أن تطول الضيافة إلى ما لا نهاية ، وكان يود ألا يكون سعادة مدير التعليم عربيا فى (مدة) الضيافة فكان يود أن تنتهى السنة الدراسية على هذه الحال من الراحة والهدوء دون أن يتكبد مسئولية الحياة فى مسكنه الجديد وبين مجموعة لا يعلم من أمرها شيئا رغم مصريتهم !!.

ولا أكتم قرائى أننا الأربعة ماكنا أقل منه رجاء فى هذا الذى أمل فيه ورجاه لنفسه .

وأعود إلى قصة الوداع فأقول إننا حين ذهبنا ظهراً إلى منزل المدير وجدناه خاوياً فانتظرناه طويلا متذرعين بالصبر الجميل غير ناسين له عطفه ورقته وكرمه ـ ثم طال الانتظار وطال حتى كاد وقت الغداء أن ينقضى دون أن نرى طعاما كما كنا نتعود أن نراه ألوانا على المائدة . وهنا أستميح سعادة المدير عذراً إن أنا صارحته بما دار فى نفوسنا الأمارة بالسوء . قلنا إنها خاتمة للضيافة قاسية لاتتحملها نفوسنا

الأبية وقلنا إننا كنا نود أن يوزع عطفه توزيعاً متناسباً مع الأيام ، ولا يصدمنا بهذه النهاية التى تؤذن بسرعة الرحيل .

ولكن لشد ما كانت دهشتنا عند ماوصل المدير فجأة بسيارته ونحن فى غمرة الأفكار الغريبة التى كان يسيطر عليها الجوع . فعلمنا منه أن جلسة المعارف استغرقت كل هذاالوقت وأنه يأسف لهذا التأخر وعتب علينا أن ننتظره دون أن نتناول الغداء ، وكان لهذا الكلام أثره البالغ فى زوال ثورة الكرامة وثورة الجوع معا . إلا أنى لاأكتم القراء أنى وزملائى قد قبلنا هذا العذر بحذر لأن ثورة الجوع والكرامة كانت لاتزال لها باقية وأثر . ومع هذا الحذر كنا شديدى الرغبة فى أن ينتهى من عذره سريعاً وألا يطول فى شرح أسباب التأخير لأن بطوننا الخمسة كانت تنادى المدير ليسرع فى طلب الغداء ؟ .

ولعل هذا الحذر الذى ذكرت لم أكن مبالغاً فيه لأن سعادة المدير أعطى تعليماته لسائق السيارة أن ينتظر وعلمنا من هذه الإشارة أن أمراً لابد سيقع قريباً بعد الغداء وأن هذا الأمر يعنينا نحن الخمسة الضيوف .

ثم انتهينا من الأكل ولم نعلم من شدة الجوع متى ابتدأناه . ولعل هذا النهم وهذا الخروج عن المألوف قد لفت نظر رب الدار فاعتبر أن هذا تحد من الضيوف وأن عهداً جديداً أو مؤامرة تآمروا عليها لابد واقعة ! ! ففكر ثم فكر وقال لنا ولما يجف الماء من أيدينا التى غسلناها بعد الأكل ـ قال إنه أمر العمال أن ينتهوا اليوم ظهراً من عمارة مسكننا الجديد وأكد لنا تأكيداً شديداً أن المسكن انتهى ويرحب بنا كل الترحيب فكانت هذه العبارة إشارة إلى الرحيل فسرعنا إلى حقائبنا نعدها وفى كل عين دمعة ! ! وفى كل قلب خفقة ! ! وفى كل نفس لوعة ! ! وهانحن تجاه الباب نخرج لنستقبل السيارة التى طال انتظارها وهاهو سعادة المدير يقف بجانب الباب فى انتظارنا وقد مد يده مسلماً ومودعاً وفى فمه ابتسامة لها عنده تفسير ومعنى ! ! ولها عندنا نحن الخمسة تفسير آخر ومعنى آخر !

وهكذا تركنا الدار العامرة لربها بعد أن جعلنا لها أرباباً من دون ربها طوال أيام ثلاثة وتركنا مع الدار كرما لو علم به (حاتم) فى قبره لقام متحدياً ومنافسا . وتركنا مع الدار حياة سعيدة هانئة ناعمة لنبدأ حياة أخرى ستعرفون شيئاً من أسرارها فى مقال آخر وتحية طيبة وتمنيات صادقه من الأعماق حتى نلتقى فى صفحة من صفحات هذه المجلة الغراء قريباً إن شاء الله ؟

صالح جمال محمد

ناظر المدرسة المباركية بالكويت

الهزل المبكي ...

نعلم أن الحياة ليست حلاوة خالصة ، كما إنها ليست مرارة دائمة عند أغلبية الناس . . . وإننا لنكيل النقد المر للذين يتخذون من حياتهم محزنة ومندبة ، كما إننا نكيل النقد ذاته للذين لا يرون فى حياتهم إلا مهزلة ضاحكة لا تستحق عناء التفكير والعمل الجدى . . . ولكننا نرضى عمن لون حياته فأعطاها من الجد صبغة ومن الهزل أخرى ، مع التوفيق فى اختيار الظروف المناسبة لهذه وتلك . . .

ولقد يطيب لبعضنا نوع من الهزل لا يطيب لبعضنا الآخر ، وذلك حسب التركيب الخلقى والعاطفى لكل منا ، فهناك الهزل البرىء الساذج وهناك الهزل المغرض الذى يملأ الأشداق لحظات بالضحكات الرنانة ثم ينجلى عن جروح قد لا تحس فى أول الأمر ، ولكن آثارها تظهر فيما بعد فى النفوس والقلوب ، ثم تتمخض عن تقطيع للروابط بين الناس وتفريق للشمل وإبراز للمعائب الشخصية التافهة التى لا تضر أحداً . . .

يتزعم هذا النوع من الأحاديث الهازلة المظهر قوم ضعاف الخلق ، قصروا عن أن يبعثوا المرح فى نفوسهم الكالحة ، ولم يطيقوا أن يبدوا على حقيقتهم التعسة ، فأرسلوا ألسنتهم بالمضحك المبكى من القول ، يستهزئون بهـــذا ويضحكون على ذلك ، ويضخمون التوافه ويزورون الأحاديث ، ويعمون الحقائق . . .

يا أصحاب البصائر : هل تعلمون أنكم بإضحاك الناس على الناس إنما تقطعون أواصر الإنسانية التى تنتسبون إليها مع الأسف الشديد ! . . .

الكويت

ت